اللغة العربية ومقومات انبعاثها في ظلّ العولمة

عبد القادر ميلود سلاّمي وأمينة أحمد بلهاشمي

ملخص:

ما يشدّ الانتباه في عالم اليوم هو تصادم المفاهيم وتباين الخطابات بين ساعٍ إلى نمذجة العالم وتنميط الفكر الإنساني ورافض لهذا التوجه مسلم بالاختلاف ومؤمن بالتعددية في كل أبعادها.

وتسعى المداخلة التالية إلى استعراض ملكات اللغة العربية المادية والمعنوية ومقومات انبعاثها بوصفها تعبّر عن وجدان ديني وامتداد جغرافي وبناء وهوية ثقافية ذات قابلية للعولمة بل للعالمية،وذلك وفق مبحثين:أولّهما يتناول تعريفات العولمة بين الإيجاب والسّلب، والثاني: يستعرض مؤهلات اللغة العربية بوصفها: __ وجداناً دينياً و - انتشاراً جغرافياً و - بناء اشتقاقياً و- وهوية ثقافية. وذيّلنا البحث بخاتمة ضمّت أهمّ النتائج المتوصّل إليها والتوصية التي ننوّه باقتراحها على المسؤولين على حمايتها أفراداً ومؤسسات.

من تعريفات العولمة :

يعدُّ هذا التقديم توقّفاً عند الرؤية الغربية لماهية "العولمة" وأهمّ تعريفاتها:

فقد جاء في معجم(وبسترز)أنّ العولمة:"إكسابُ الشيء وجعل نطاقه وتطبيقه عالمياً".١

وهذا لا يعدّ تعريفاً بالمعنى الدقيق،إنّما هو إشارةٌ إليهن غذ لم تتوفّر فيه ملامح الحدّ المنطقي إن صحّ التعبير.٢

وعرّفها بعضهم بقوله:"إنّها نظامٌ عالميّ جديد يقوم على العقل الإلكتروني، والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والإبداع التقني غير المحدود،دون اعتبار للأنظمة والحضارات، والثقافات والقيَم ، والحدود الجغرافية والسياسية القائمة في العالم".٣

أو هي"القوى التي يمكن السيطرة عليها للأسواق والشركات المتعدّدة الجنسية التي ليس لها ولاء لأيّ دولة قومية".٤

ويرى آخرون أنّ لها معنيان، أو وجهان، الأول(ظاهري)، يعني" ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم سواء المتمثلة في تبادل السلع والخدمات، أو انتقال رؤوس الأموال، أو في انتشار المعلومات والأفكار"، والثاني:(جوهري)، وهو إنّها " تفكيك الأمم والدول، والجيوش، وتفكيك المجتمع، والأسرة، وتفكيك الفرد وتجريده من القيم والأخلاق والمبادئ الدينية المقدّسة".٥

وقد سمّاها بعضهم (بالكونية) ، أو (العالمية)، ويرون أنّها أصبحت من حقائق الحياة العصرية التي تعكس توصيفاً لمجتمع شديد التعقيد ذي تطوّر تقني، متعدّد الأبعاد، وحركة سريعة في العمل والانتشار، ومنافسة كبيرة على الفرص المتاحة في السوق العالمية."٦

وهي كما يراها الفيلسوف الفرنسي المسلم(روجيه غارودي):" أشرس حروب الدّين، بطريقة غير مباشرة، من خلال الفكر والاقتصاد والثقافة، فهي مناقضة لعنوانها الرّئيس، فأصبحت مناقضة للحرية الإنسانية، والديمقراطية ؛لأنّها تعني حرية الأغنى والأقوى في افتراس الأفقر والأضعف، والاستيلاء على ثرواته وثقافته ، وعقائده".٧

وبناءً على ما تقدّم فإنّ العولمة عملية تقود القوى الفاعلة في النّظام العالمي حالياً، من أجل ترويج قيم المثال الغربي الرأسمالي الليبرالي وسلوكياته وسياساته و قيمه وثقافاته.٨

فإذا كان هذا ديدن العولمة ، فماذا يكون من حال اللغة العربية في ظلّها؟وماذا تملك لغة العرب بوصفها أقدم اللغات الحية إيغالاً في القدم ومن بين أشهرها تداولاً في الوقت الرّاهن من مقوّمات ثبوتها ونمائها؟

مؤهلات اللغة العربية :

ترتبط اللغة بالبيئة و الإقليم، و الطبائع البشرية في ملكة مقررة فهي العضو الفاعل و هو اللسان و هو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم ، ولا تكون اللغة إلا حيث يتواجد أفراد المجتمع الواحد الذين يكسبونها خصائص تركيبية و دلالية تتوافق والإدراك العقلي لديهم و سلوكهم الاجتماعي ، فتتمثل الألفاظ في نظام تركيبي له بنية خاصة و نظام صوتي متشكل من الأصوات العرقية المنطوقة ومن تتابع الأصوات التي تستخدم في التعامل بين الأفراد أو عند مجموعة من البشر فاللغة العربية تحتفظ بثبات أصواتها ، فهي مرتبطة بالأصالة اللغوية من حيث الجوهر ومتجاوزة لأشكالها التي نظر إليها علماء النحو المحدثين كموروث مقدس لا يمكن المساس به.٩

لم يجمد علماء العرب اللغة في قوالب جاهزة ، وفي بطون الكتب ، بل قاموا باستقراء نصوصها ، ووضع مفرداتها في الاستعمال ، بما تقتضيه قواعد تراكيبها ، فأغنوا اللغة بالمفردات و المصطلحات و أساليب التعبير .١٠

العربية وجدان ديني:

العربية لغة القرآن ، ويعد الإسلام حصنها، وهذا سر خلودها وبقائها ، ذلك لأن الديانة الإسلامية التزمت العربية الفحصي التزاما تاما ، وظلت تساندها و تؤازرها دون انقطاع ، ولم تتخلّى عنها للهجة من اللهجات وما زاد من تآزر البلاد العربية ، قوافل الحج التي جعلت الاتصال دائم كل سنة بين المسلين، ثم إن كون العربية لغة القران استوجب للحفاظ عليها إقامة كتاتيب و مدارس لتعليم القران قراءة و وحفظا،إلى جميع الأطفال و لم تتوقف حتى في عصور الانحطاط . ١١

من هنا أصبحت العربية أكثر قداسة ؛ لأنها ارتبطت بكلام الله المقدس . وانطلاقا من فكرة أن الحضارة كيان ثقافي يتحدد بعناصر موضوعية مثل الدين و اللغة و التاريخ و العادات و التقاليد فيتم اختزال الثقافة أحد أبعادها وهو الدين ، ثم في خطوة لاحقة تأتي اللغة مباشرة بعده كعامل من عوامل تمييز أبناء ثقافة معينة عن أتباع أخرى .

العربية انتشار جغرافي :

إن انتشار الإسلام نتيجة الفتوحات الإسلامية جعل العربية تعرف انتشارا واسعا، فقد كانت اللغة العربية قبل ظهور الإسلام منصهرة بالجزيرة العربية ، وبأطراف بعض البلاد المجاورة لها، وإما انتشار اللغة المذكورة إلى سائر أنحاء العالم العربي الحالي ، فقد تم بفضل الفتوحات التي تمت تحت راية الإسلام.١٢ ولهذا فالديانة الإسلامية كانت تمثل القوى الدافعة في انتشار اللغة العربية في بلاد شاسعة .

وما يزيد من هذا الانتشار اليوم رغبة بعض الجمهوريات الإسلامية والتي خرجت من سيطرة الاتحاد السوفياتي(سابقا) الارتباط بالتراث العربي الإسلامي ،ولن تجد الوسيلة لذلك أفضل من اللغة العربية وتعلمها.١٣ فالبلدان الإسلامية الناطقة بغير اللغة العربية كأندونيسيا و باكستان تعتري سكانها عاطفة جياشة اتجاه الإسلام، واتجاه تعلم اللغة العربية ، الأمر الذي يجعل العربية سريعة الانتشار .فقد نشأت اللغة العربية في أقدام موطن للساميين نَجد و حجار ورغم ذلك فإن ما وصلنا إلينا من آثارها يعد من أحدث آثار اللغات السامية .١٤

هذا،وتتكون الأمة من عدة أصول عرقية وهذا بفضل انتشار الإسلام في مختلف بقاع العالم ، ومع انتشار الإسلام انتشرت اللغة العربية باعتبارها لغة القران الكريم في تلك المناطق التي وحدت العقيدة الدينية لهجاتها وحفظت استمرارها؛لأن الإسلام يفرض على معتنقيه حفظ ما تيسر في القران لأداء العبادات التي لا تصحّ إلاّ بتلاوة آيات بيّنات من القرآن وما يعرفه الإسلام من انتشار و من دخول الأعاجم أوروبيين و أمريكيين دليل على انتشار اللغة العربية التي تتسع دائرة رقعتها من يوم إلى آخر.

العربية بناء اشتقاقي:

تتميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات اللاتينية كونها لغة ترد إلى ميزان صرفي، فهي نتيجة لذلك تتميز بالتجدّد، إنها لغة اشتقاقية أما اللغات الأخرى فهي لغات تركيبية دلك أن اللغات الهندية الأوروبية هي لغات لا تعتمد كثيراً الاشتقاقَ، إنما تعتمد بالدرجة الأولى على ظاهرة التركيب، أي تركيب كلمة من كلمتين أو أكثر.١٥ ومن الأمثلة على ذلك أن كلمة الفرنسية مؤلفة من كلمتين هما وتعنيا بعد وكلمة وتعني السمع والكلمتين المشتقتين لكلمة واحدة تعني الهاتف والأمر نفسه في كلمة في الإنكليزية وهي حوض الحمام وتعني غرفة والكلمتين تؤلفان كلمة واحدة وتعني الحمام الذي يستحم فيه.

وقد ذكر العلماء طرائف كثيرة

جدا تعيش على وضع المصطلح ومن ذلك:

١- الاشتقاق: وهو: " أخذُ صيغة من أخرى مع اتّفاقهما معنىً ومادّة أصلية، وهيئة تركيب لها، ليُدلَّ بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة ، لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة، كضَار من ضرب، وحَذِرٌ من حذِرَ١٦ وهو ما يعرف بالاشتقاق" الصغير أو " الأصْغَر١٧، وهو المراد حين يطلق لفظ الاشتقاق.

أ/ الاشتقاق الكبير١٨ أو الأكبرعند بعض القدماء ١٩، "فيُحفظ فيه المادّة دون الهيئة، فيجعل(ق و ل) و(و ل ق) و(و ق ل) و(ل ق و) وتقاليبها الستّة، بمعنى الخفّة والسرعة" ٢٠ وهذا ممّا جعله الخليل في كتاب العين وابن دريد في جمهرة اللغة مبدأ لتمييز المهمل من المستعمل من كلام العرب، وحاول ابن جنّي أن يجعل منه نظرية متكاملة وإن لم يكن" معتمداً في اللغة ،و لا يصحّ أن يُستنبط به اشتقاق في لغة العرب".٢١

ب/ الاشتقاق الأكبر أو الإبدال اللغوي×: وهو انتزاع لفظ من لفظ مع تناسب بينهما في المعنى والمخرج في بعض الأحرف وذلك بوضع حرف مكان حرف مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة ، نحو(جَدَثٌ) و(جَدفٌ) للقبر (وقعوا في عاثور شرّ وعافور شرّ)٢٢ فالثاء حرفٌ لساني أسناني والفاء حرف شفوي أسناني. وقد عقد ابن جنّي في خصائصه، باباً سمّاه(باب في الحرفين المتقاربيْن يستعملُ أحدهما مكان صاحبه) " فمتى أمكن أن يكون الحرفان جميعا أصليْن كلٌّ واحد منهما قائم برأسه، لم يَسُغ العدول عن الحكم بذلك.فإنْ دلّ دالٌّ أو دَعتْ ضرورة إلى القول بإبدال أحدهما من صاحبه عُمِلَ بموجب الدلالة، وصِيرَ إلى مقتضى الصّنعة"،٢٣ فدلّ ذلك على أنّ الإبدال اللغوي يختلف عن الإبدال الصّرفي في كون الأوّل يرجع إلى اختلاف اللهجات وتداخلها،وقد يقع في اللهجة الواحدة، في حين يقتضي الثاني الضرورة والاستحسان٢٤ ، أي أنّ له قوانين ضابطة تحكمه، وهي مسائل قياسية مطّردة أجمل الصرفيون مواضعها. فأصل الألف في (قام) واو(قَوَمَ) وأصلها (باعَ) ياء(بَيَعَ) " فأمّا الواو الياء فمتى تحرّكتا، وانفتح ما قبلهما ، قلبتا ألفَيْن ، إلاّ يشذَّ شيءٌ ، فيخرج على الأصل،دلالة عليه، أو يخافُ لَبْسٌ، أو يكونَ التصحيح أمارةً"٢٥ وعلى هذا فالإبدال في حقيقة أمره ظاهرة صوتية تعامليّة ، ثمّ إنّه من الظواهر المقيّدة؛ لأنّه يفسّرُ في جلّ أحواله بقوانين التعامل الصوتي من تقريب وتباين وإدغام وتجانس، وغيرها.٢٦

ج/ الاشتقاق الكبّارأو النحت: النّحت في أصل اللغة : النَّجْر مع التسوية والبَرْيُ والقشْر. يقال نحت النجار الخشب والعود ومثله في الحجارة والجبال،٢٧ لقوله تعالى: ﴿وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين﴾٢٨ وهو الاصطلاح :أن تعمد إلى كلمتين أو جملة فتنزع من مجموع حروف كلماتها كلمة واحدة تدلُّ على ما كانت تدلُّ عليه الجملة نفسها، وهو جنس من الاختصار.٢٩ وهو طريقة من طرائق توليد الألفاظ وهو قليل الاستعمال في اللغة العربي، شائع في غيرها من اللغات الهندية الأوروبية ومن أمثلته البسملة والحمدلة والحولقة وبعض العلماء يسمون النحت بالاشتقاق ويعدونه نوع من أنواع الاشتقاق وهو أنواع أيضا:٣٠

-النحت الفعلي: وهو أن ننحت من الجملة فعل مثل "بسملة" عن بسم الله الرحمن الرحيم.

-النحت الوصفي: وهو أن ننحت كلمة واحدة من كلمتين تدل على صفة بمعناها مثل "ضنبطر" للرجل الشديد مأخودة من ضبط ومنبر و "الصّلدم" وهو الشديد الحافر مأخوذة من الصلد والصدم.

-النحت الإسمي: وهو أن ننسب شيئا أو شخصا إلى بلد مثل "طبرستان" و"خوارزم "ننحت من اسميهما اسما واحدا على صيغة اسم المنسوب فنقول"طيرخزي" أي منسوب إلى مدينتين كليهما و يقولون في النسبة إن أبي حنيفة "حنفعلتي".

-النحت الحرفي : مثل قول بعض النحويين إن- لكن، منحوته فقد رأى بعض القَرّأة أن أصلها "لكن، إن" طرحت الهمزة للتخفيف.

-النحت التخفيفي : مثل "بلعنبر" في بني العنبر و"بلحارث" في بني الحارث و "بلخزرج" في بني الخزرج .

وظلّ النّحتُ أسلوباً وفّق فيه اللاجئون إليه من المحدثين نسبياً في ضرورات المصطلح العلمي، نحو قولهم في علم الكيمياء(شَارِجِيَة) عوض (شاردة موجبة) و(شارِسِيَة) بدل (شاردة سالبة) و (كهرطيسي) مقام (كهربائي مغناطيسي) ومن الباب نفسه(تَحْتُربة) من (تحت التربة) في علم النّبات.٣١

٢- المجاز:وهو استعمال كلمة في غير معناها الأصلي لعلاقة مع قرينة مانعة من إيراد المعنى الأصلي،٣٢ وله أنواع :

أ- المجاز عقلي : وهو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي.٣٣ ، نحو قوله تعالى: ﴿ جعلنا بينَكَ وبين الذين لا يُؤمنون بالآخرة حِجاباً مَسْتُوراً﴾.٣٤ فالمجاز في قوله: ﴿حِجاباً مَسْتُوراً﴾ ، بإسناد السّتر إلى الحجاب، والفاعل الحقيقي الذي أسند إليه السّتر هو الحجاب، فلو أُريد الإسناد الحقيقي لقيل " حجاباً ساتراً" بحيث استعمل المفعول مكان اسم الفاعل، فالإسناد مجازي، وهو مجازٌ عقلي علاقته" الفاعلية".

ب-المجاز مرسل:وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير تشبيه.٣٥ وسمّي "مرسلاً"؛لأنّه لم يقيّد بعلاقة المشابهة ،أو لأنّ له علاقات شتّى.ومن الأمثلة على ذلك قول عنترة العبسي: ٣٦

فشَكَكْتُ بالرّمح الأصمّ ثيابه

ليس الكريمُ على القنا بمحرَّم

فالمجاز في " شككت ثيابه"، أي قلبه لمجاورة الثياب للقلب، فكأنّها محلّه وكأنّه حال فيها فالمجاز مرسل وعلاقته " المحلّية".٣٧

٣. التعريب :وهو "أن تتفوّه به العرب على منهاجها".٣٨ وهو نقل المفردة الأعجمية بلفظها مع إدخال بعض التعديل عليها لتكون وفق طبيعة اللغة العربية وقد عرب اللغويون المتقدمون كثيرا من الكلمات الأعجمية وسار على هديهم المحدثون.فمن فمن طرائقهم في التعريب :٣٩

أ- تغيير حروف اللفظ الدخيل:وذلك بإبدال الحرف الأعجمي بحرف عربي قريب منه، وقد يكون مخرجها ما في النطق متقاربين مثل: "فالوذج" من "بالوده"، و"فردوس" من "برادايس"، وقابوس من "كاووس"، و"إسماعيل" من "إشمائيل".

ب-نقص بعض الأحرف أو زيادتها، مثل : برنامج من برنامه"، و" بنفسج" من " بنفشه".

ج-تغيير الوزن والبناء حتى يوافق أوزان العربية ويناسب أبنيتها، فيزيد العرب في أحرف الدخيل أو ينقصون، ويغيّرون مدوده وحركاته حتى تتمّ تلك الموافقة، يراعون بذلك قواعد العربية الصوتية كمنع الابتداء بساكن أو الوقوف على متحرّك أو توالي ساكنيْن.فقد عدلوا عن " برازدة" إلى " فرازدق"، وعن " نشاسته" إلى " نشاء"، وعن" كليد" إلى " إقليد"، وفي هذا التغيير ياحقون الكلمة الدخيلة بأبينتهم، فألحقوا كلمة" دينار" بكلمة" ديماس" العربية، و" إسحاق" بـ" إبهام" ، و" جولرب" بـ" كوكب".

وذهب كثير من علماء فقه اللغة إلى أن اللغة العربية تنفرد بمزايا لا توجد مجتمعة في لغة أخرى من لغات البشرى أي قد توجد بعض هذه المزايا في لغة من اللغات إما أن تجتمع كل هذه المزايا في لغة غير العربية فهذا غير موجود وقد قال الأستاذ محمد حسين "كانت الفارسية في الشرق هي التي يمكن بما لها من فصاحة و حسين بيان أن يوازن بينها و بين اللغة العربية و قد شهد بعض الأعاجم الذين عرفوا اللغتين بأن العربية أرقى مكانة و ألطف مسالك حيث قال ابن جنى في الخصائص:"وذلك أنّا نسأل علماء العربية ممن أصله عَجَميٌّ وقد تدرَّب قبل استِعرابه عن حال اللغتين، فلا يجمع بينهما، بل لا يكاد يقبل السؤال عن ذلك؛ لبُعده في نفسه و تقدّم نطق العربية في رأيه و حسّه،سألت غير مرة أبا على (الفارسي) عن ذلك فكان جوابه نحواً مما حكيته". ٤٠

وعقد ابن فارس في كتابه الصاحبي في فقه اللغة بابا للقول في أنّ لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها (وإنه لتنزيل ربّ العالمين نزل به الرّوح الأمين على قلبك لتكون من المُنذرين بلسان عربي مُبين).٤١ فوصفه سبحانه بأبلغ ما يوصف به الكلام .٤٢

وإليك شهادات من لا يؤمنون بالقرآن و إنما ينظرون إلى اللغة من ناحية حسين البيان قال المستشرق أرنست رينان في كتابه تاريخ اللغات السامية:" من إغراب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية و تصل إلى أعلى درجات الكمال وسط الصحاري عند أمة من الرحل تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها و دقة معانيها وحسن نظام مبانيها و كانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم ومن يوم علمت ظهرت لنا في حلل الكمال إلى درجة أنها لم تتغير حتى أنها لم يعرف لها في كل أطوار حياتها لا طفولة و لا شيخوخة لا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها و انتصاراتها التي تباري ولا نعلم شبيها لهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج و بقيت حافظة لكيانها من كل شائبة ." ٤٣

تلك ما تمتاز به العربية من

خصائص اشتقاقية فلما توفرت للغة حية من مثيلاتها من اللغات التي كتب لها الدوام، فهي بالإضافة إلى قدرتها على الترجمة و التعريب تملك طاقة دلالية هائلة في الانتقال من الحقيقة إلى المجاز و قدرتها على استيعاب أحدث مصطلحات الحضارة الإنسانية في أحدث صورها ترادفاً واشتراكاً.

٤/الترجمة:و"نقل كلام أو نصّ من لغة إلى أخرى"٤٤ وقد كانت الترجمة وما تزال في خدمة الإنسان المتحضر، كونها الجسر الذي يعبر إليه ثقافة الأمم بعضها إلى بعض فتزيد من نصيبها من المعرفة وتعمق متعتها في الحياة، فقد أدرك الإنسان العربي – كغيره من الأمم- فضل الترجمة منذ زمن بعيد كما أدرك حقائق وجوده الثقافي.فعرف أهمّ أقسامها: ٤٥

- الترجمة الأدبية.
- الترجمة العلمية.
- أشتات الترجمة، التي تجمع ماهو ليس أدبياً خالصاً ولا علمياً بحتاً.

من حيث اتُّخذها جسراً للتواصل بين الثقافات المختلفة، مشروعاً تقوم عليه المؤسسات دون الأفراد، ولنا في (بيت الحكمة) قديماً و(المجالس العليا للثقافة) و(مكاتب تنسيق والتعريب الترجمة ومراكزهما) و(مشاريع القومية للترجمة) بالبلدان العربية حديثاً ما يؤكّد هذه الآصرة.٤٦

العربية هوية ثقافية :

الهُوية هي "جملة المعايير التي تمكن من تعريف فرد ما وهي شعور داخلي هذا الشعور بالهوية يتعدد إلى الشعور بالوحدة و الانسجام و الانتماء و بالقيمة و بالاستقالة و بالثقة . إنها مجموعة المميزات منظمة حول الإرادة في التواجد. ٤٧ ومحددات الهوية تكمن في ارتباطها باليات اكتسابها و دور الأنا و الذات يعد بمثابة مبدأ التنظيم الذي بواسطته يحافظ الفرد على بقائه كشخصية متماسكة مع ماهيته و استمرارية في تجربة الذاتية و واقعيته مع الآخر لذلك يعدّ لأنا من محددات الهوية ، هذا بالإضافية إلى الآخر الذي من خلاله نشعر بهويتنا .

ونجد أنفسنا اليوم بين ثلاث عوالم الأول هو العالم القديم بأصولياته الدينية و تصوراته اللاهوتية أما الثاني فهو العالم الحديث بفلسفاته العلمانية و الثالث و هو العالم الأخر في التشكل أي عالم العولمة هذه العوالم الثلاث تتجاذب الوعي بالهوية و تؤلف ما يمكن تسميته ثالوث التقليد و الحداثة و ما بعد الحداثة بصيغة أدّت ثالوث الأصولية و العالمية و العولمية و في المجال العربي الأخرى تسميته ثالوث الأسلمة و الأنسنة و العولمة ، و قد كان الارتباط وثيقا بين الهوية و الثقافة لما كانت اللغة مظهر من مظاهر الثقافة و منه توصف اللغة بأنها مرجعية من مرجعيات الهُوية .

اللغة هوية ثقافية :

ومن هنا تكون الحاجة إلى إقامة التوازن بين آليات التحضر و إبداعات اللغة و ليس المطلوب حضارة مسطحة تجف فيها منابع المعنى ، و في المقابل ليس المطلوب لغة فردانية يهتم بها المرء في قوقعته و يعتزل عن سواه و إنما المطلوب الموازنة بين الأداة و القيمة أي بين الحضارة و اللغة على أن تكون هذه لموازنة بين لغة العرب و الحضارة العربية الإسلامية صلة و صل بين معرفة تراثية معيارية و أخرى و صفية،الأمر الذي يبعث على بلورة معرفة التراث و الانتماء الحضاري وفق نظرة أصيلة تمكن من إنتاج خطابات علمية باللغة العربية و تفجير طاقاتها التعبيرية دون عجز عن مجاراة الفكر الغربي في الميدان العلمي و التقني بالإجماع على لغة متداولة تسري على ألسنة الناطقين بها ، ووصل حاضرها بماضيها مع الإحساس بالانتماء إلى حضارة مؤثرة و متأثرة، قوامها لغة واحدة موحدة للأمة و منفتحة على غيرها من الحضارات دون استلاب أو عجز عن طرح البدائل و الإسهام في بلورة عولمة تقوم على احترام الهويات و الخصوصيات ، و منها الهوية العربية الإسلامية التي تملك أسباب انفتاحها على نفسها ، و غيرها في آن واحد كونها من المقومات الذاتية ما يكفيها عن مجاراة نظيرتها من اللغات الحية اشتقاقا و توليد و حقيقة مجاز و كونها من أطول من أطول اللغات العالمية طفولة بالإضافة على أنها كانت و ما زالت مسرحا للتجاذبات الثقافة مؤثمر في غيرها من اللغات و متأثرة يبعضها الآخر مما جعلها مثار جدال و بحث بين العلماء العرب و العجم قديمهم و حديثهم ممثلة هوية ثقافية متعددة الأقطاب و المشارب تستظل بظل الإسلام و تغرب من ينابيع العروبة.٤٨

ونتيجة لكل هذه المقومات و المؤهلات التي تملكها العربية يمكن القول إن العربية من اللغات التي تملك في ذاتها صفة العولمة و الشمولية و الكونية.

الخاتمة:

بما أنّنا في عالم أصبح فيه الصراع الثقافي يحتل مركز الصدارة،فقد أضحت المعرفة قوة قادرة على قرض إرادتها من حيث اقتنع مدبرو مصانع الأفكار في الغرب وفي أمريكا خصوصا بدعوة مفادها أن التحكم في الآخر يجب أن يبدأ بزعزعة نظمه الفكرية وهو ما يجعلهم يرسمون الدور الذي يجب أن تقوم به مختلف وسائل الإعلام والاتصال في استخدام كل وسائل التضليل والتغليط لإفساد الأنساق التصورية للمنظومات الفكرية التي تخالفهم التوجه وكذا الدعاية للغة القطبية المهيمنة في سبيل خلخلة البنية المفاهمية لهذه الأنساق إما بإدخال مفاهيم جديدة عليها أو تحريف مدلولات مفاهيم موجودة فيها.

في ضوء هذه الهيمنة العولمية أثبتت اللغة العربية قدرتها على التلقي والتفاعل والتطور فانبثق عن أصالتها فعل حركي متجه نحو المستقبل المتجدد والمتطور فكانت لغة علم وحضارة إنسانية تنبض بالإخصاب والتوليد والتجديد الإبداعي الوثيق الصلة بأصالته الإبداعية فنتج عن ذلك إيمان قوي بقدرتها عل العطاء والإيداع وإن كانت لا نستطيع أن تنهض في أوساط مجتمعات يسودها التخلف ولا نواكب متطلبات العصر. " وفي ذلك قال أستادنا سعيد الأفغاني- رحمه الله- في آخر بحثه في الاشتقاق: "للغتنا غنى وافر وطبيعة مسعفة يحسدها عليها كثير من اللغات فهي كنز يطلب من يكتشفه ويحسن استخدامه والإفادة منه".٤٩ ويبقى أمر انبعاثها ومواكبتها متطلبات العصر الحديث مرهون بمدى جدّية النّاطقين بها والقائمين على مؤسساتها التعليمية والعلمية.

الهوامش:

١- ذياب عبد الكريم ، العولمة ومستقبل العالم الإسلامي،ص٢٧.

كاظم عبد فريج المولى، العالمية والعولمة،ص١١٧-.١١٨ -٢

٣- صلاح الدين عمارنة،العولمة، ص٧٠.

٤- محمد مسعد سماحة، العولمة الأمريكية والعولمة البديلة ،ص٢٢.

٥- عبد العزيز التويجري، العولمة ومستقبل العالم الإسلامي،ص٢٧.

٦- المرجع نفسه،ص٢٧.

٧- روجيه غارودي، نحو حروب دينية،ص١٦.

٨- كاظم عبد فريج المولى، العالمية والعولمة،ص١٢٠.

٩– أحمد مجدي حجازي العولمة وتهميش الثقافة الوطنية ،ص ١٣٩ .

١٠– ابن خلدون ،المقدمة،ص ٧٣.

١١– أبو خلدون ساطع الحصري: اللغة والأدب وعلاقتهما بالقومية، ص ٤٧.

١٢ – أبوخلدون ساطع الحصري،ماهي القومية؟ ،ص٦٦.

١٣– حامد الطاهر ، مقال كيف ننهض بالغة العربية ،ص ٩٤ .

١٤ -ينظر:ربحي كمال، دروس اللغة العبريةص١٩-٢٥ وكيس فرستيغ ، اللغة العربية –تاريخها ومستوياتها وتأثيرها،ص ١٩-٥٢.

١٥ - إسماعيل أحمد عمايرة، تطبيقات في المناهج اللغوية، ص١٦٣.

١٦ - السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها،١/٣٤٦.

١٧ - المرجع نفسه،١/٣٤٨.

١٨ –ينظر على سبيل المثال : سعيد الأفغاني،في أصول النحو ،ص١٣٦ .

١٩ -ابن جني، الخصائص ،١/١٣٣.

٢٠ - المرجع نفسه ،١/٣٤٧.

٢١ - ابن جني، الخصائص ،١/٣٤٧.

× -يعدّ الفرّاء(ت ٢٠٧هـ) أوّل من أطلق مصطلح" الإبدال" على هذه الظاهرة.ينظر: الفرّاء، معاني القرآن،١/٤١.

٢٢ –ينظر: المرجع نفسه،١/٤١ .

٢٣–ابن جنّي ، الخصائص،١/٨٢.

٢٤ - ابن يعيش، شرح المفصّل ،١٠/٧ .

٢٥– ابن جني، التصريف الملوكي، ص٢٦-٢٧ .

٢٦- عبد السلام المسدي، اللسانيات وعلم المصطلح العربي،ص٣٧.

٢٧ - ينظر:ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ،٥/٤٠٤،مادة(نحت) والفيروزآبادي،القاموس المحيط،١/ ١٦٥ ، مادة (نحته).

٢٨ - الآية١٤٩ من سورة الشعراء.

٢٩ –ينظر: ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ، ص٢٦٣-٢٦٤.

٣٠ - ينظر:سعيد الأفغاني، في أصول النّحو،ص ١٣٤-١٣٥وأحمد عبد الرحمن حمّاد،عوامل التطور اللغوي،ص ٣٤-٣٨.

٣١ – عبد السلام المسدي، اللسانيات وعلم المصطلح العربي، ص ٣٣.

٣٢ - ينظر: ابن عبد الله شعيب، الميسر في البلاغة العربية ،ص٦٧

٣٣ - ينظر المرجع نفسه،ص٧٠.

٣٤ – الآية ٤٥ من سورة الإسراء.
٣٥ – الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة ،ص٢٧٢.
٣٦ – الخطيب التبريزي،شرح القصائد العشر،ص٢٣٩.
٣٧ – المرجع نفسه،ص٢٣٩.
٣٨ –السيوطي، المزهر في علوم اللغة،٢٦٨/١.
٣٩ – ينظر:عبد الفتاح المصري، قطوف لغوية،ص ٦٦.
٤٠ – ابن جني،"الخصائص ٢٤٣/١.
٤١ – الآيات١٩٢–١٩٥من سورة الشعراء.
٤٢ – ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية،ص٤٣.
٤٣ –ينظر:غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص٤٣٩–٤٤٠.
٤٤ – ابن النديم، الفهرست،ص ٥٢٣.
٤٥ –سالم العيس، الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية، ص١٠٧.
٤٦ – ينظر:مصطفى الشكعة، معالم الحضارة الإسلامية ،ص١٤٠–١٤٥.
٤٧ – على حرب، حديث النهايات ، فتوحات العولمة و مازق الهوية، ص٣٨ .
٤٨ –ينظر:مصطفى أنشاصي، معركة المفاهيم–الحضارة..الثقافة..العولمة—هي الدين، ص ١٢٦–١٣٠.
٤٩ – سعد الأفغاني، في أصول النحو،ص١٥٨.

المصادر والمراجع:

× ×**القرآن الكريم.**
– أحمد عمايرة، إسماعيل: تطبيقات في المناهج اللغوية، دار وائل للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، عمان، سنة ٢٠٠٠م.
– الأفغاني سعيد :في أصول النحو،دار الفكر.
– أنشاصي، مصطفى :معركة المفاهيم–الحضارة..الثقافة..العولمة—هي الدين،مجلة شؤون العصر–المركز اليمني للدراسات الإستراتيجية، العدد ٢٤،السنة الحادية عشرة،محرم/ربيع أول ١٤٢٨هـ–يناير/مارس ٢٠٠٧م.
– ابن جني،أبو الفتح :
×التصريف الملوكي،تحقيق ديزيره سقال،ط١، دار الفكر العربي للطباعة والنشر،بيروت، ١٤١٩هـ١٩٨٥م،
×ابن جني:الخصائص ،تحقيق محمد علي النجّار ، ط٢ مصورة،دار الهدى،للطباعة والنشر ،بيروت ١٩٥٠م.
– ابن خلدون :عبد الرحمن: المقدمة، دار الكتاب اللبناني ، الطبعة ٣ ، بيروت ، ١٩٦٧م .
– ابن فارس،أبو الحسين:
× الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها،تحقيق عمر فاروق الطبّاع،ط١، مكتبة المعارف،بيروت، ،١٤١٤هـ–١٩٩٣م.
× معجم مقاييس اللغة،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،١٣٩٩هـ–١٩٧٩م.
– ابن النديم،محمد بن إسحاق :الفهرست، تحقيق مصطفى الشويمي، تونس: الدار التونسية للنشر والجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب،١٩٨٥ م.
– ابن يعيش، شرح المفصّل،عالم الكتب، بيروت.
– التويجري، عبد العزيز: العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، مجلة الفرقان، العدد ٩٩، السنة العاشرة، ١٩٩٨م.

– حرب، على: حديث النهايات ، فتوحات العولمة و مازق الهوية، بيروت ، سنة ٢٠٠٠ م .
- الخطيب التبريزي :شرح القصائد العشر،تحقيق عبد السلام الحوفي،ط٢،دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
–ساطع الحصري، أبو خلدون:
× اللغة والأدب وعلاقتهما بالقومية، ط٢ مركز دراسات الوحدة العربية، ،بيروت، ١٩٧٥ م .
× ما هي القومية؟ أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت، لبنان،١٩٧٥م.
-سماحة، محمد مسعد :العولمة الأمريكية والعولمة البديلة، مجلة النور،العدد٨٥،السنة التاسعة، ١٩٩٨.
-السيوطي،جلال الدين: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى و علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم،دار الفكر،دار الجيل ، بيروت.
- شعيب، ابن عبد الله: الميسر في البلاغة العربية،علم البيان والمعاني والبديع،دار الهدى، الجزائر.
- الشكعة، مصطفى: معالم الحضارة الإسلامية. بيروت: دار العلم للملايين،م١٩٨٢ م.
– الطاهر، حامد ، مقال كيف ننهض بالغة العربية ، مجلة العربي ، العدد٥٤٠ ، نوفمبر٢٠٠٣ م.
- عبد الرحمن حمّاد، أ حمد: عوامل التطور اللغوي-دراسة في نمو وتطور الثروة اللغوية، ط١،١٤٠٣هـ-١٩٨٣م،دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع.
-عبد فريج المولى، كاظم: العالمية والعولمة،.مجلة مآب، العدد ٣، السنة الأولى، ٢٠٠٧م.-
- عبد الكريم، ذياب ، العولمة ومستقبل العالم الإسلامي، مجلة الفرقان ، العدد ٩٩، السنة العاشرة،١٩٩٨م.
- عمارنة، صلاح الدين: العولمة، مجلة المهندس ، العدد ٦٥.
– العيس سالم: الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية،١٩٩٩م.
- غارودي، روجيه: نحو حروب دينية،ترجمة صياح الهميم،دار عطية بيروت،١٩٩٦م.
- الفرّاء، أبو علي محمد: معاني القرآن،، تحقيق علي النجار وأحمد يوسف نجاتي،ط٢، عالم الكتب،بيروت، ١٩٨٥م.
- فرستيغ ،كيس:اللغة العربية –تاريخها ومستوياتها وتأثيرها، ترجمة محمد الشرقاوي،المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة،٢٠٠٣م.
- القيروزآبادي، مجد الدين: القاموس المحيط،دار الجيل .
- القزويني، الخطيب: الإيضاح في علوم البلاغة،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان.
- كمال، ربحي :دروس اللغة العبرية،ط٧، مديرية الكتب والمطبوعات بجامعة حلب،١٩٨١-١٩٨٢م.
- لوبون، غوستاف: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ط٤، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
–مجدي حجازي أحمد : العولمة وتهميش الثقافة الوطنية "، المجلد ٢٨ ، العدد الثاني ، أكتوبر، ديسمبر، السنة ١٩٨١م.
–المسدي، عبد السلام: اللسانيات وعلم المصطلح العربي،مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية-الجامعة التونسية،المطبعة العصرية-تونس ،،سلسلة اللسانيات، العدد٥ ،١٩٨٣م.
–المصري، عبد الفتاح: قطوف لغوية، ط١، مؤسسة علوم القرآن دمشق-بيروت،١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.